خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١ من شوال ١٤٣٦ هـ / ١٧ من تموز ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] ورد في الحديث الصحيح عن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن الشيطان قد يأس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)).

معاشر السادة: التحرش بين المسلمين وتعميق الجراح في الجسم المثخن عادة تقوم به فئات كثيرة، وتسخر له أقلام شتى بأسلوب ماكر خبيث، ونحن نحسب أن زارعي الفتنة والشقاق بين صفوف الأمة هم مأجورون لجهات أجنبية تكيد لأمتنا وتود لها العنت، وأثرها القريب والبعيد خطير على وحدتنا وتماسكنا في هذه الأيام العصيبة.

لقد حرم الإسلام البهتان والغيبة والعداوة والبغضاء، وعدها من الكبائر، وعند التأمل في نصوص الشريعة نَجد التحريم يتناول ما يَجري على ألسنة الأفراد مِن إثم يُراد به إساءة امرئ في نفسه وأسرته، ولكن الذي يقع الآن يُمكن تَسميته غيبة جماعية أو افتراءً جماعياً، الغاية منه إهانة شعوب كثيرة، وتوهين أواصر الوحدة الكبرى التي تلمها، وإعادة العرب إلى الجاهلية التي ردم الإسلام مآثرها ورفض منافراتها، أي إنها غيبة مركبةٌ أو رذيلة مضاعفة، ونتائجها إيغار الصدور وتقطيع الصفوف وإظلام المستقبل، ولن يستفيد من هذا العمل إلا أعداء الإسلام والحريصون على تمزيق أمته وإضاعة جماعته، لذلك ندبنا النبي ﷺ إلى إصلاح ذات البين، وبين فضله وقدسيته ومنزلته، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره، عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال:

إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)) وفي رواية أنه قال: ((هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)).

محبة الخير محبة الحق والفضيلة والخير من أبرز الخلال التي غرسها الإسلام في قلب المؤمن وسريرته، فعلاقة الإنسان المؤمن بهذه المعاني ليست المعرفة النظرية المجردة، أو الاحترام الشكلي المتوارث، أو الحفاوة المفروضة العابرة، لا، إن رِباطه بهذه المعاني يَقوم على حُبٍّ مَكين وتقديس محيط وعاطفة نقية، وقاعدة إحقاق الحق وإبطال الباطل وتَقبيح القبيح وتَحسين الحسن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما تَسيل من هذا الينبوع النقي الطهور، وهذه القاعدة هي الميزة التي اختصت الأمة الإسلامية بها، واستحقت الخلود والتقديم لقيامها عليها.

معاشر السادة: الخير والشر صفات ذاتية للناس، لكن المسلم لا يكفيه أن يكون خَيِّرًا ليأمن وينجو، بل لا بد من أن ينتقل هذا الخير إلى المجتمع الذي يحيا فيه، فإذا أتم بناءه ورفع لواءه انتصب محامياً عنه وانشغل بحراسته، وجعل صيانته مِن كرامته الخاصة والدفاع عنه دفاعاً عن عرضه، والمؤمن الحق هو الذي يَستنبط محو الشر من المجتمع، ويجأر باستنكاره إن رأى بوادره، ويشتبك معه إذا كلح وجهه، هذه طبيعة الإسلام وتلك رسالة خلود، وذاك أساس الفضل والرجحان الذي نطقته به الآية الكريمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ومنازل المسلمين من الدين ومكانتهم في أنفسهم وعند الله بقدر ما يُحرزون من هذه الخصائص اللامعة، فإن الحياة لم تعتل لوهن الناس بالخير والشر قدر ما اعتلت لترك الخير يخذل ويتوارى أصحابه، وترك الشر يستعلي ويطغى زبانيته، فكم من رجل تُرك فريسة للضيم لا لغموض في هفواته أو خفوت في استغاثته، ولكن صوت الهوى أعلى ولسانه بالأسى أَحَدّ، على أن نزرع الخير واقتلاع الشر ليستا قدرة قلم على الكتابة أو فم على الخطابة، إنما هما فيض الإيمان الغيور وقدرة إنسان على طرح وإيثار ما عند الله.

جل الأمم –يا سادة– الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته، وتكسير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات، وهذا شيء حسن، فمن ذا الذي يكره العافية والسعة والكفاية، إن كدح الناس للحصول على مزيد من خيرات الله والاستمتاع بأرضه عمل مفهوم المقاصد، إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هي البطن الملآن والبدن المزدان، فذلك هدف

حيواني لا إنساني، وهبوط والحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسالته، ونزول عن المكانة التي أرادها الله له.

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لآكليه، غاية ترادف النبيون لتوضيحها، ثم جاء عميدهم الخاتم مُحَمَّد ﷺ صاحب الرسالة العظمى ليصنع أمة تمثل الخير وتقوم عليه وترفع علمه في الآفاق، وظيفة هذه الأمة بين شتى الأجناس والأوطان أن تدعم الخير، وأن تعلي صوت الحق والصلح والمعروف، وأن تحمي مبادئ الإيمان، وأن تجعل من كيانها مأولاً للفضائل، وأن تكره الشعور والآثام وتتنكر لفاعليها، وتسعى لإصلاحهم وكبح جماحهم، وقد أرشد الله الأمة إلى تولي هذا المنصب وتحمل هذا العبء، حيث خاطب المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] والرعيل الأول من السلف الصالح الذي تلقى آيات القرآن وسَعِدَ بصحبة النبي ﷺ فهِمَ وَظيفته على هذا النحو، يَقول علماء السلوك والتربية: (الوسيلة الصحيحة لكسب أي سباق أن تُقوي نفسك، لا أن تُعوق غيرك، فإن استكمال أسباب النجاح في كيانك الخاص هو الدِّعامة الأولى والأخيرة للفوز الحقيقي).

إن بعض الناس يظن أنه بجهده في هدم الآخرين يَبني نفسه، وهذا خطأ، فإن الضعيف لا تحول ضعفه بمحاولات فاشلة في تجريح الأقوياء، فتبقى علته وتلصق به معرته وتذهب جهوده هباء منثوراً، عندما تقرأ في القرآن الكريم قصة ابني آدم الذين قتلا أحدهما أخاه، تلمح في مسلك الأخ المجرم صورة دقيقة للحقد الأعمى وبياناً لاتجاهاته المختلفة في فهم الحقائق، هذان الأخوان تنافسا في عمل، فأخفق أحدهما ونجح الآخر، فأصر المخفق على أن يَتخلص من آثار هزيمته، لا بمعاودة الكرة واستئناف العمل بنشاط وأمل، وانتظار القبول عند الله مرة أخرى، بل بالتخلص من منافسه واختصار الطريق والقضاء على حياة أخيه، فلما أحس أخوه منه هذه النية الخبيئة حذره مغبتها قائلاً: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] ولكن الرجل الحاقد لا يفهم من الأمور إلا ما يمس أنانيته ويهيج كراهيته فحسب، ثم تتصرم أفكاره في دائرة ضيقة من ذهن أتعبه الحقد لا الفكر، وأضلته الرغبة الملحة عن معالم الخير والروية، فإذا الجريمة النكراء تقع، وبعدها أدرك القاتل أن ارتكاب الجريمة لا تجعل من الرجل الفاشل رجلاً ناجحاً، ولا من الرجل الخاسر رجلاً رابحاً.

أوصى الشيخ محمّد متولي الشعراوي رحمه الله أبناءه بقوله: (يا أبنائي، أحبوا بعضكم، فإنه لا شيء يعوض الأخ عن أخيه) احفظها أيها المسلم، احفظها أيها العربي، (يا أبنائي، أحبوا بعضكم، فإنه لا شيء يعوض الأخ عن أخيه).

ونحن بحاجة إلى توسيع هذه الدائرة مِن نطاق ضيق إلى نطاق واسع، نعني بذلك أن نعمل جميعاً على تمكين أواصر الأخوة والمحبة في المجتمع السوري.

يا سادة: إن ما فعله أهلنا المسيحيون وإخوتنا الأكارم في مشاركتهم للمسلمين في الإحياء بليلة القدر والاحتفاء بها وتقديم وجبة السحور لكم ليس هذا الأمر بجديد أو غريب، فالعالم الإسلامي والعربي يشهد ويعرف أن التآخي بين المسلمين والمسيحين في سورية لا مثيل له في العالم، وهذه الأخوة والمحبة والاحترام المتبادل بين الطرفين لها جذور تاريخية عريقة، يَذكر علماء التاريخ: لقد حَدث في بغداد أن دخل أحد الوزراء النصارى واسمه عبدون بن صاعب على القاضي إسماعيل بن إسحاق، فوقف له مرحباً، وقف القاضي لذاك الوزير النصراني مرحباً، وشعر القاضي ولاحظ أن حَوله من الجالسين أنكروا عليه هذا العمل، فلما خرج الوزير قال لهم القاضي: قد علمت إنكاركم، وإن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨] وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين خليفتنا، فمن البر أن نحترمه.

وهكذا -يا سادة- سيبقى مسلك المسيحية والإسلام مثلاً أعلى لأروع ضروب الاعتدال والتسامح، مهما اجتهد المرجفون ونفخوا ونفثوا في أفقه الدخان.

معاشر السادة: سورية هذا الوطن الحبيب دائماً هو في عيد، وما أجمل العيد عندما يُتوج بالحب، عندما يُتوج بالتراحم، عندما يُتوج بالإخاء والعطاء، ما أجمل الأعياد عندما تُزين بالأخوة الحقيقية التي أرادها الله، والتي فعلها الصحابة على أرض الواقع ﷺ أجمعين، ما أجمل العيد عندما يُتوج بالانتصارات.

إن انتصار الجمهورية الإسلامية في إيران في مفاوضاتها مع الغرب في حقها النووي السلمي هو انتصار كبير للشرفاء في هذا العالم، كل شريف في هذا العالم فَرِحَ بهذا الانتصار، لأن هذا الانتصار هو انتصار للأمة العربية والإسلامية، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية ستعمل مِن وراء ومن بعد هذا الانتصار الكبير إلى توحيد صفوف الأمة العربية والإسلامية، مُعتمدة على ذلك مبدأ الحوار، فإيران دولة لم تُحارب أي بلد أبداً، لم تعتد على أي دولة أبداً، إنها تقدم الحب، إنها تقدم النصيحة، إنها تمد يد الخير لا تمد يد القتل

والإجرام، وإذا كان آل سعود الأقزام، وإن كان نتنياهو قزم قد أرقه هذا الاتفاق النووي وهذا الانتصار النووي العظيم، فإنا نقول له: إن هذا الاتفاق هو أكبر دليل على أن الجمهورية العربية السورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية لن تركع لكم مهما تناولتم منها ومهما كدتم لهذين البلدين من مكر خبيث ومكائد فظيعة، لن نركع ولن نستسلم أبداً، لأننا أصحاب حق، كم صمدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مفاوضاتها حتى انتصرت، لا يموت حق ووراءه مطالب، ولكن نحن عرب –يا سادة– ينبغي علينا أن نتعلم أنه يجب علينا أن نتسلح بسلاح العلم، فإيران تسود العالم اليوم بأي شيء؟ بسلاح العلم، لا بالتشيع كما يدعي الأقزام آل سعود وكما يدعي المتصهينون وخدام بنو صهيون، لا، إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تسلحت بالعلم، كيف لا وقد عملوا بقول الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] فكم هو جميل أن تتزامن الأعياد مع الانتصارات، ولا سيما ونحن نجد الجيش العربي السوري يتقدم في كل يوم على الأراضي التي داسها ونجسها مع الأسف أتباع الغرباء المسلحون المرتزقة، نحن اليوم نسير في طريق الانتصار، ونسير في طريق اليسر بإذن الله عز وجل بعد العسر الذي أصابنا وأهلكنا، لكنه لم يثني من عزيمتنا، وإن مواقف دول الغرب كلها تراجعت، حتى وجدنا أوباما يتخبط مرة ضدنا ومرة معنا، مرة يريد أن يسلح بالمعارضة المرتزقة، ومرة يرفض تسليحها، حتى أصبحنا نحن كمواطنين بسيطين في فهم السياسة نتساءل: لماذا يتخبط الغرب ولماذا تتخبط السياسة الأمريكية في منهجها تجاه العرب وتجاه دمشق بشكل خاص؟ لأنهم أصحاب باطل، أما من كان على حق لا يتخبط، ثق تماماً إذا كنت على حق وأنت تعتقد أنك تدافع عن وطنك عن عرضك عن أهلك لا يمكن أن تتردد، مهما أصابك من ضيم، ومهما أصابك من وعود، ومهما أصابك من تهديد، فإنك تعلم في قرارة نفسك أنك تؤمن بقضية أمرك الله بها، وهي أن تحمي أرضك وعرضك من الضباع الغرباء، فعندما تسير في هذه القضية وأنت تؤمن وقلبك مُستريح إلى ما تفعل أن هذا العمل الذي تقوم به لدفاعك عن أرضك وعرضك يُحبه الله ستزداد اندفاعاً أكثر فأكثر، حتى ترى ربوع وطنك ملآى بالحب والأمن والاستقرار كما كان.

معاشر السادة: ها هو شهر رمضان قد مضى، مضى هذا الشهر العظيم، ونحن اليوم في هذا اليوم الأغر المبارك في أول يوم من أيام عيد الفطر، فالعيد ليس كما نفهمه لمن لبس الجديد، ولمن أكل الطعام والشراب والحلوى، إنما العيد لمن طاعته تزيد، وطاعته تزيد ليس فقط بالصلاة والعبادة والوقوف في

المحاريب، لا، إنما تزيد عبادتنا وطاعتنا لله عندما نقف جميعاً مخلصين لله أولاً، ثم لهذا الوطن ثانياً، ثم لقضية فلسطين الخالدة ثالثاً، وبعدما نَعتكف على كتب العلم والدراسة لنبحث عن وسائل المعرفة التي تزيدنا قوة وعزيمة وثباتاً وإصراراً حتى نصل إلى طريق النصر.

تسلحوا أيها السوريون بسلاح العلم، تسلحوا أيها العرب بسلاح العلم، حتى تقولوا للغرب: ها نحن ذا نتسلح بسلاح العلم لكي نقوى، لا من أجل أن نقتلكم، ولا من أجل أن نفجر في دياركم، لا، نتسلح بالعلم حتى نقول لكم: إن الإسلام دين حب ورحمة وخير وعطاء، ما أجمل العلم عندما يَصحبه هذا المعنى العظيم.

أيها المسلم، أيها العربي: دينك ليس بغامض، ودينك ليس بمخفي، دينك صريح، دعانا إلى العلم، دعانا إلى الهدى، دعانا إلى الأخوة والمحبة والتراحم، ما أجمل الأعياد، وما أجمل الأيام عندما يَعمها الحب والمؤاخاة، في ربوع هذا الوطن، وفي ربوع هذه المعمورة، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطـــــبة الثانيـ٢ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تُعيد علينا هذه المناسبة العظيمة الجليلة بالنصر والخير واليمن، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري في السهول والجبال والوديان، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، وأن تسدد أهدافهم يا رب العالمين، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده لما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.